دراسة الشخصية في الهجاء الإسلامي لحسان بن ثابت على ضوء نظرية جوردون أولبورت

طالبة الدكتوراه منصوره سادات طالب الحق
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة آزاد الإسلامية ـ كاشمر ـ إيران
talebolhagh@gmail.com
الأستاذ المساعد الدكتور فريبرز حسينجانزاده (الكاتب المسؤول)
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة آزاد الإسلامية ـ كاشمر ـ إيران
janzadeh46@gmail.com
الأستاذ المساعد الدكتور محمد جعفري
قسم اللغة العربية وآدابها جامعة آزاد الإسلامية ـ كاشمر ـ إيران

The Characteristics of Hassan ibn Thabit Islamic Invectives from Gordon Allport's View

Mansoureh Sadat Talebolhagh
PhD student of Arabic Language and Literature, Kashmar Branch, Islamic Azad university, Kashmar, Iran
Dr. Fariborz Hossein-Janzadeh
Assistant Professor of Department of Arabic Language and Literature, Kashmar Branch, Islamic Azad university, Kashmar, Iran (corresponding author)
Dr. Mohammad Jafari
Assistant Professor of Department of Arabic Language and Literature, Kashmar Branch, Islamic Azad university, Kashmar, Iran

المخلّص:-

الهجاء هو أحد من الأغراض الشعرية الذي يقدم خلاله الشعراء خصومهم و أعدائهم للجمهور بسمات بغيضة رديئة وهذه السمات تخلد في ذاكرة الناس خلوداً أبدياً. ويعد حسان من أوائل شعراء الإسلام المعروف باسم شاعر الإسلام أو شاعر النبي ﷺ. وهو يعتبر أيضاً من الشعراء المخضرمين الذي فقد أمضي نصف حياته في العصر الجاهلي وقضي نصفه الآخر في العصر الإسلامي. وهو واكب الرسول ﷺ ورافقه، كتب قصائد وقوافياً يدعم للإسلام. والعديد من أشعاره يسير في مدح النبي وهجوالأعداء والمشركين. منهج حسان الشاعر في توصيف أعداء الإسلام والنبي ﷺ قريب من نظرية في علم النفس لجوردون ألبورت العشريني. إذن سعينا في هذه الدراسة أن نحلل شخصيات هجائيات الشاعر في العصر الإسلامي في ضوء نظرية جوردون ألبورت. بالنظر إلى أن نقد علم النفس هو أحد المجالات الجديدة للنقد الأدبي ومجال دراسته الواسع فهو على اتصال وثيق مع سائر فروع العلوم الإنسانية خاصة الأدب. إإن بين هذه الفروع والتخصصات، فإن علم النفس، باعتباره أحد فروع العلوم الإنسانية ذا علاقة شديدة مع المجالات الأدبية؛ إن نحن بحاجة ماسة إلى دراسات بين هذين الحقلين. خلصت النتيجة أن الشاعر قد تساير في منهجه في وصف الشخصيات وتعريفها بمنهج جوردون آلبورت حيث هو يقدم الشخصيات عبر الصفات المشتركة والثانوية التي تشمل على المركزية والأصلية والفرعية فهذا التصنيف من الصفات هو ما أعرب عنها جوردون في نظريته النفسية. المنهج المستخد في هذه الدراسة هو المنهج الوصفي ـ التحليلي، كما تستفيد من دراسات نفسية خاصة دراسات مرتبطة بنظرية جوردون ألبورت.

الكلمات الرئيسة: الهجاء، طليعة الإسلام، حسان بن ثابت، النقد، علم النفس، الأدب، المقارنة.

Abstract:-

Invective is one of the poetic objectives by which poets introduce their opponents or enemies and their unpleasant characteristics to the people, so that they remain in the memories. Hassan ibn Thabit is one of the poets at the beginning of Islam, known as the poet of Islam, best known for his poems in defense of the Islamic prophet (PBUH), one of the Sahaba, or companions of Muhammad (PBUH), who spent half of his life in the Islamic period and during the life of Muhammad (PBUH) supported Islam and Muhammad (PBUH) by writing poems and Qasidas. Most of his Qasidas are related to poetic objectives and panegyric of the Prophet (PBUH) and the invective of his enemies. Hassan's approach to introducing the enemies of Islam and the Islamic Prophet (PBUH) in the field of psychology is close to Gordon Allport's theory. Therefore, we sought to compare Hassan's approach in invectives of the Islamic period with Gordon Allport's theory. Given that psychology criticism is one of the new areas of literary criticism and its widespread field has brought it into close relationship with other disciplines of the humanities and psychology as a branch of the humanities has thematic proportion in many fields and literature, there is a need for joint research between the two. Using psychoanalytic criticism, this paper investigated Hassan invectives to achieve the main purpose of the poet through literary words.

Keywords: Invective, At the Beginning of Islam, Hassan ibn Thabit, Psychoanalytic Criticism, Literature, Comparison.

١. المقدمة:ـ

علم النفس هو أحد المجالات الجديدة للنقد الأدبي الذي يدرس خلالها الناقد الأعمال الأدبية القائمة على مبادئ علم النفس والنقد. تبعاً لها المنهج النفسي أصبح من المناهج الرئيسية والسائدة طليعة النهضة الأدبية في الأدب والنقد العربي في العصر الحديث جنباً إلى المنهج التاريخي والإجتماعي. نظراً إلى علاقة الأدب والنفس وعلاقتها الوطيدة، ألفت دراسات كثيرة قائمة على المنهج النفسي فهي تدرس الأدب والأعمال الأدبي على ضوء المنهج النفسي إما بصورة كلية و إما على حسب نظرية من نظريات علم النفس. فهناك كثير من الدراسات التي تقوم على أساس نظرية فرويد، العالم النفساني الشهير في القرن العشرين. لأن المناهج والآليات النفسية تساهم في الإبداع الأدبي والناقد يسعي أن تستخرج هذه الآليات في الأعمال الأدبية. إذن ما مضي وقت طويل حتى تنبه الناقدون في الأدب العربي على هذا المنهج وألّفوا دراسات قائمة على أساس المناهج النفسية من أهم هذه الدراسات في العصر الحديث هو كتاب "مع أبي العلاء في سجنه" لطه حسين فهذا الدارس اتخذ هذا المنهج طريقة لدراسته في نقد أشعار شيخ المعرّة. إذن المنهج النفسي نما نمواً كثيراً في عصر النهضة وتم استخدامها من قبل كثير من الأدباء والنقاد والمبدعين.

لكن الدراسات الأدبية القائمة على المنهج النفسي لم تحدد على هذه الدراسات البسيطة الساذجة في القرن السابع عشر أو طليعة القرن العشرين، بل تطور تطوراً باهراً في القرن العشرين خاصة الشطر الثاني من هذا القرن على أساس أحدث إنجازات و أهمها في مجال علم النفس منها نظرية جوردون ألبورت التي تعتبر نظرية هامة في علم النفس تسمي بنظرية علم النفس الشخصية. فهي تخص الشخصية أحد أهم ركائز علم النفس. أما هذه الدراسة تنوي أن تدرس أقدم الأشعار العربية على أساس أحدث النظريات النفسية. إذن أهمية البحث وضرورتها تعود إلى هذه القضية بما تدرس هجائيات الشاعر الجاهلي والإسلامية ـ هجائياته في العصر الإسلامي على وجه التحديد ـ حسب نظرية نفسانية جديدة لتتناول أن هجائيات الشاعر في مستهل الإسلام ذات علاقة وطيدة بأحدث الإنجازات التي حصلها العالم النفساني جورورودن ألبورت في عصرنا الراهن. لأن الشاعر الإسلامي ذات عبقرية خاصة هو يتمتع من القوّات النفسانية فهو يدري تلقائياً الخصائص النفسانية

للشخصيات ويعرف كيف يستخدم هذه الخصائص والمميزات ليكون هجاءه أكثر تأثيرة وأشد حدة. إذن في هذه الدراسة تتناول من وجهة نظر جوردون أولبورت إلى دراسة نفسية لعنصر الشخصية في هجائيات حسان بن ثابت، الشاعر العربي في العصر الجاهلي ومستهل الإسلام. يهدف هذا المقال: للتعبير عن أسلوب شخصية حسان بن ثابت معتمداً بما جاء في علم النفس خاصة دراسة الشخصية لدي الشاعر مع انجازات أخصائي النفسي في القرن العشرين أي جوردون أولبورت، لتجيب على السوال التالي:

كيف استخدم حسان أسلوب السمات في هجائياته؟

٢. خلفية البحث

هناك عدة مقالات في الأدب العربي معتمدة على المناهج النفسية منها، مقالة، (١٣٩٢) "دراسة علم النفس الشخصية في قصائد المتنبي"، بقلم يحيي معروف و مسلم خزعلي؛ هذه الدراسة تناول قصائد الشاعر العربي الشهير على أساس نظرية الشخصية في علم النفس وتحدثت عن مستويات مختلفة للشخصية في قصائد الشاعر. وأيضاً مقاله (١٣٩٥)، التحليل النفسي لرواية زقاق المدق لنجيب محفوظ؛ بقلم نفس الكاتبان. هذه الدراسة تناول الخلقيات النفسيية ومدي تأثيرها على البنيات الإجتماعية وتناول أيضاً تأثير الحالات النفسية لشخصيات على الأحداث الإجتماعية. هناك أيضاً مقالة تقرب ببحثنا حيث تدرس الهجاء كمواد دراسة وهي مقالة (١٣٩٤)، المعنون "دراسة نفسية لهجاء حطيئة اعتماداً على آراء آلفرد آدلر وكارن هورناي. هذا المقالة تبين مدي تأثير الأزمة النفسية التي يعاني منها الشاعر في حثه على الهجاء وتناولت نزوع الشاعر المتعددة في الهجاء من قبح المنظر ودمامة الخلق وضعة النسب والفقر والحاجة والتشرد وإلخ. فهناك أيضاً دراسات مختلفة تناول الأدب العربي قائمة على المنهج النفسي لايمكن أن نذكرها. أما الجديد في دراستنا هو أننا نسعي أن ندرس الهجاء الإسلامي للشاعر على أساس منهج محدد من مناهج نفسية فهو منهج جورودن ألبورت. فهذا الموضوع جديد لم يتطرق بها أحد.

٣. الإطار النظري للبحث

في هنا نشرح المفاهيم النظرية الرئيسية لدراستنا هذه، فهي الهجاء، وحياة الشاعر، علاقة الأدب وعلم النفس، نظرية الشخصية لجورودن ألبورت فهي على التوالي:

١- ٣- الهجاء

هجا، من فعل هجا يهجو، مصدرٌ، معناه تعداد معايب الناس، الذم والسبّ بواسطة شعر من أشعار أو شتمه بالشعر، الشعر حينذاك يكون ذماً (معين،١٣٨٦، ٤: ٥١٠٥). أو حينما نقول هجا الشاعر فلانًا أي ذمَّه وعدَّد معايبَه وأهانه إما صدقاً أو كذباً (پادشا،١٣٦٢،٧: ٤٥٥) الهجاء أو الشعر الهجائي هو أحد الأساليب القديمة في الشعر العربي وله ميل فطري للتعبير عن التناقضات والعيوب، ومهما كان الغرض من القصيدة الدفاع عن النوايا الخاصة وقمع الأعداء والمعارضين المغضوبين، يسمونها "هجاء". ومهما يسوق الكلام إلى ثناء شخص أو تعزيزه ووتعداد أمجاده يسمونه المدح. إذن الهجاء يطلق على شعر يقصد به الشاعر التحقير أو التهديد للمهجو (كاسب، ١٣٦٦، ٩). الهجاء من أهم أغراض الشعر العربي منذ الجاهلي نهاية العصر المملوكي، حطئية من أهجي الشعراء وأفتكها في الجاهلية.

٢-٣. نبذة عن حسان بن ثابت

حَسّانِ بْنِ ثابِت، ابوالوليد الأنصاري، الشاعر المُخَضرم (الشاعر الجاهلي و والإسلامي)، من أصحاب الرسول ﷺ، من قبيلة بني مالك بن نجار الخزرجي الأزدي؛ يبدو أنه ولد في النصف الثاني من القرن السادس للميلاد في يثرب (ابن‌سلام، ١٩١٦: ٨٧). كان يُطلق عليه أبو وليد، من صحابة الرسول ﷺ وأحد الشعراء المخضرمين. قد عاش في الإسلام لمدة ستين سنة وعاش أيضاً ستين سنة في العصر الإسلامي، كانت مدائحه قبل الإسلام عن الغساسنة وملوك الحيرة مشهورة جداً (اصفهاني، ١٤٢٠: ٢/٧٢). أي قضي شطر من حياته في الجاهلية وشطره الآخر في الإسلام.

أشرف حسان بن ثابت في السنة الأولى للهجرة لدي الرسول ﷺ واعتنق الإسلام. رحّبه النبي ﷺ بأذرع مفتوحة واستقبله بالحضن وحثه على الدفاع عن دينه ومحاربة المشركين بقصائده. منذ ذلك الحين، دخلت حياة حسان مرحلة جديدة، ممزوجة بالأحداث العظيمة التي كانت ذات أهمية كبري لتاريخ الإسلام، وجاء اسمه كأول وأكبر شاعر للنبي ﷺ. عندما اعتنق الإسلام، لم يكن هناك بين أصحاب النبي ﷺ أو بين المشركين في قريش شاعر كبيراً يماثلة في العظمة والقوة. في ذلك الوقت، كان حسان شاعراً ناضجاً ويعرف جيداً كيف

يستخدم الشعر كسلاح ضد أعداء الإسلام (ابن قتيبة، ١٩٦٩، ١٧٠-١٧١). لأنه سمح له رسول الله ليهجو المشركين، صب الشاعر عاصفة ممطرة من قصائده المؤثرة عليهم، فهي وفقا بما قال النبي ﷺ، كانت أكثر إثارة من سيف المجاهدين في ساحة المعركة (ذهبي،١٣٦٨، ٥١٦/٢). يعتقد القدماء أن حسان بن ثابت قد عمّر عمراً طويلاً فهو من المعمرين. ويعتقدون أنه عاش ١٢٠ عاماً وقضي نصفه في العصر الجاهلي والنصف الآخر في الإسلام. فهو أصبح أعمى في نهاية حياته وتوفي في أيام خلافة معاوية (ابن قتيبة، ١٩٦٩: ١٧٠).

٣ـ ٣. الأدب وعلم النفس

نشاهد ومضات متعددة حول التحليل النفسي للنص الأدبي بشكل بدائي منذ العصور القديمة، ولكن هذا النهج تقدم تقدماً كثيراً في العصر الحديث مع ظهور مختلف مدارس في مجال علم النفس. عبر تقدم الأبحاث النفسية خاصة دراسات و أبحاث عالم نفسي سيغموند فرويد في أوائل القرن العشرين، تم استخدام آرائه حول اللاوعي والنهج النفسي في مجالات علم النفس وأصبح واحداً من المدارس التفسيرية الصاخبة في القرن العشرين (فرزاد، ١٣٨٨ش: ٧٨). العلاقة بين الأدب وعلم النفس علاقة قائمة واضحة حيث لا يمكن إنكارها، لأن يتم إنتاج الأعمال الأدبية وفقاً على السمات النفسية للمبدع وفهي ذات علاقة وطيدة بها. إذن الحصول على تلك السمات من الأدوات المفيدة في تحليل الأعمال الأدبية (الموسي، ٢٠١١م: ١٢٩- ١٣٠)

للنقد النفسي خصائصه الممتازة به، يجب أن يكون هذا النقد، كمثل سائر الأنواع النقدية الأخرى خاليًا من أي تحيز أو ذوق شخصي، ويجب أن يهتم الناقد في نقده إلى العوامل الثقافية والاجتماعية والسياسية التي تؤثر على السياق الأدبي. الميزة البارزة في النقد النفسي هي أن الناقد ينبغي أن يركز على المؤلف أكثر من غرض الأدب ونوايا العمل الأدبي، لأن تحليله يجب أن يكون نقدًا أدبيًا، وليس تحليلًا نفسيًا بحتًا (عيلان، ٢٠١٠م: ١٥١). يمكن تقسيم النقد الأدبي النفسي إلى أربعة أنواع بناءً على ما يهم للباحث؛ إذن هذا النقد يمكن أن ينحو نحو لمؤلف أو المحتوى أو الشكل والصياغة أو القارئ والمتلقئ، وحسب هذه الأنحاء يمكن تقسيمه إلى أربعة أنواع. يجب أن نذكر أن معظم الأبحاث في الحقل النفسي ينتمي إلى النوعين الأول والثاني (ايجلتون، ١٣٤٨ش: ١٤٦).

النقد النفسي هو أحد أساليب النقد الذي يعتمد فيها النقاد على أسس ومبادئ علم النفس، هذا النقاد يحاولون أن يفهمون التيار النفسي والحالات النفسية للشاعر أو الكاتب، يقيّمون قوة التأليف وطاقات التراكيب وذوق الكاتب وقريحته وأيّاً قوة انفعالاته وتخييلاته ليقومون بدارسة البيئة والمجتمع والتقاليد والأعراف في إكمال هذه التيارات والعمليات)) (زرين كوب، ١٣٨٨: ٨٠). من ناحية أخرى، تكون الشخصية المنطوية في الأعمال الأدبي كلية في بعض الأحيان، حيث يتم تقديمها بمزيد من التفاصيل وتتميز بسمات خاصة عن غيرها، وأحيانًا تكون الشخصية رمزية هي التي تنحو القارئ إلى المفاهيم أكثر مما هو واضح في الأعمال التي تقوم بها والكلام الذي يتلفظ به (ميرصادقي، ١٣٧٦ش:١١٠). إذن البحث عن علم النفس والأدب قديمة قِدمَ النقد الأدبي العربي لكن ليس لها إطار محدد في النقد القديم لكن حددت معاييره وتعيّنت أطره في العصر الحديث.

٤ـ ٣. جوردون آلبورت ونظرية الشخصية

ولد جوردون بيليارد ألبورت في الولايات المتحدة في السنة ١٨٩٧ وتوفي في السنة ١٩٦٧ في ذلك البلد. هو بعد أن أكمل دراسته الجامعية في الاقتصاد والفلسفة من جامعة هارفارد، ذهب إلى تركيا وقضي سنة واحدة في كلية رابرت كلية اسطنبول بتدريس اللغة الإنجليزية وعلم الاجتماع. منذ عودته إلى الولايات المتحدة، أكمل دراسته الجامعية في هارفارد وحصل على الدكتوراه بسنة ١٩٢٢. ثم جاء إلى أوروبا ودرس لمدة عامين في جامعات برلن بهامبورغ وجامعة كامبريج في انجلترا. لدي عودته إلى الولايات المتحدة، درس في كلية دارتموث حتى عام ١٩٣٠ ومنذ ذلك الحين قضى حياته كلها في التدريس والبحث والدراسة في جامعة هارفارد (سياسي، ١٣٧٩ش: ١٤٥). يُعرف جوردون ألبورت بوالد علم نفس الشخصية. يبدو أن ألبورت قبل أن كان مشهوراً في حقل الشخصية كان مشهوراً بسبب تقديم القضايا والمبادئ التي أثارها خلال حياته الأخصائية والإنتاجية مع التركيز على الجوانب الإنسانية الصحية والمنظمة للسلوك الإنساني. هذا هو موقف الذين يعتبرون الإنسان كائنًا عصبيًا ونفسيًا ميكانيكياً (بروين، ١٣٩٥ش: ٢/٧٠).

يعتقد ألبورت أن العلم لا يستطيع أن يدرك الشخصية بأكمل جوانبها. كان يعتقد أن التمكن على جوانب الشخصية بحاجة إلى الأدب والفلسفة. هذا لا يعني أن ألبورت لم

يقبل المعلومات والإنجازات التي تم الحصول عليها عبر الأبحاث العلمية. يعتقد ألبورت أنه على مر السنين، تم تجميع الكثير من المعلومات غير العلمية وأنه من الخطأ التجاهل والتغافل عنها. في الواقع، كان يعتقد لم يكن يجب أن يقتصر على نهج واحد أو وجهة نظر واحدة أثناء محاولة دراسة الشخصية (كنجي،١٣٩١ش: ٥٠٨).

يعتقد ألبورت أن كتاب السير ورواة القصص والشعراء الموهوبين كانوا أكثر نجاحًا في وصف الشخصية الإنسانية من علماء النفس الذين يستخدمون الأساليب التجريبية أو الإحصائية في هذه العملية. إذن نحن نعرف بعد قراءة صفحة واحدة من كتاب السيرة حول شخصية واحدة تعرفاً جيداً مقارنة بفحصه في الإختبارات النفسية في المختبرات... لا يغفل ألبورت عن أوجه التشابه بين البشر مع بعضهم البعض. ولكن يقول، استخراج القواعد العامة عبر هذا التشابه للتعبير عن السلوك الإنساني خطأ. لكن لايمكن الحصول على الشخصطة معتمداً على الأسلوب الواحد. يجب أن نتناول عدة الطرق والأساليب. لاتمكن دراسة وافية عن شخص دون الرجوع إلى حياته وسيرته وكشف معلومات كاملة عنه (سياسي،١٣٧٩ش: ١٦١).

قبل الأبحاث العلمية لألبورت، لم يكن التحليل النفسي ونظريات الشخصية جزءًا من التيار الرئيسي لعلم النفس. لم تمت دراسة منظمة و رسمية عن الشخصية في علم النفس حتى الثلاثين من القرن العشرين. لكن حول مسيرة الشخصية إلى موضوع ذي المغزى والمهم خلال أربعين عاماً من حياته العلمية (دوان، ١٣٨٧: ٣١٣-٣١٤) يعتبر ألبورت اكتشاف الشخصية من أهم الأحداث العلمية في القرن الراهن. يعتقد أن هذا الموضوع الهام يجب أن يدرس من وجهات نظر طبيعية مختلفة في العلوم البيولوجية والفلسفة والأدب - والتي تصف السلوك البشري على أفضل وجه (سياسي، ٢٠٠٠: ١). ألبورت مثل العديد من العلماء في مجال الشخصية، كان يعتقد أنه من المستحيل تقريبًا تحديد الشخصية بدقة، هو وبعد مراجعة تعريفات علماء الدين والفلاسفة والمحامين والشعراء وعلماء الاجتماع وعلماء النفس في خطة تعريفه عن الشخصية في كتابه الأول. على حسب رؤيته الشخصية هي "ما هي كينونة، الإنسان حقيقاً يمتلكها"، لكن هذا التعريف كان غامضًا وقصيراً جدًا. إذن قدم تعريفًا أكثر دقة، وقال: الشخصية هي منظمة ديناميكية داخل الفرد لها العديد من الأنظمة

البدنية والعقلية، وتحدد سلوكها وفكرها المحددين بها.(رايكمن، ١٣٩٤ش: ٢٧٨). إذن يعرّف ألبورت الشخصية بأنها "شخصية" المنظمة أو تحفيز نظام الشخص البدني والنفسي الذي يحدد كيفية تكيف هذا الفرد مع البيئة. نية ألبورت للمؤسسة مع التحفيز هي أن الشخصية على رغم العناصر المكونة لها مترابطة ومتعاونة فهي دائما في النمو التطور، في حين أن الأنشطة البدنية والعقلية ليست منفصلة عنها ولا توجد شخصية في الشخصية. فهي ليست مصنوعة، لكنها متشابكة ومعا تشكل الشخصية. معنى الجزء الأخير من تعريف ألبورت هو أن هذه الشخصية في كل فرد تنقله بطريقة معينة للتكيف مع البيئة، أي تحدد سلوكه. يؤكد أولبورت على هذا التفرد والذاتية للأشخاص، أي اصل الفردية تأكيداً كثيراً. ولهذا السبب تُسمى علم النفس أيضًا "علم النفس الفردي" (سياسي،١٣٧٩ش:١٨٣)

بهذا السبب اعتبر ألبورت الشخصية منظمة ديناميكية لأنه يعتقد أننا لا نستطيع نفكك أجزائها أو ننفصل بين مكوناتها التي تعمل بشكل منفصل. رأى ألبورت الشخصية كمحاولة للوحدة وتتطور باستمرار (رايكمن، ١٣٩٤ش: ٢٧٨). وفقًا لألبورت، فإن الشخصية ليست كائنة مجردة أو خيالية، الشخصية موجودة حقيقةً ويقوم بالأعمال. الشخصية هي شيء يكمن في تصرفات الشخص وأفكاره الخاصة. يعتقد ألبورت أن الشخص ليس بأي حال من الأحوال مجرد رد فعل سلبي على البيئة، ولكن سلوكه وتفكيره مخلوقان من الداخل ومن خلال بنية وصياغة شخصيته (بشيري، ١٣٩٦: ٤٠٤-٤٠٣).

٤. تحليل أسلوب السمات

لقد تم استخدام نهج السمات في دراسة الشخصية لسنوات عديدة لأن تصنيف الأشخاص والناس على حسب سماتهم بسيط للغاية ومفهوم جداً. يعود هذا النوع من التصنيف إلى الحكيم اليوناني "بقراط" حوالي ٤٦٠ سنة قبل الميلاد. في السنوات الأخيرة، استخدم بعض علماء الشخصية، فكرة الشخصية مقتبساً من بقراط، التي تتألف لديها من عدة سمات. يمكن أن يعتبر سبب هذه الأفكار إلى الاختلافات حول الأهمية النسبية للمتغيرات الشخصية (مثل السمات) والمتغيرات البيئية والظروف التي تؤثر على السلوك البشري (مشهدي فراهاني، ١٣٩٦ش: ١٩٣). في الواقع، تشمل السمات نوع الخصائص النفسية التي تشبه فيها العديد من المحفزات والاستجابات. يعتبر ألبورت السمات الظواهر

العامة والمستمرة التي تنشأ من العلاقة بين مجموعة من المحفزات المختلفة والاستجابات المتعددة. أيضا، بالنسبة له، تمثل الصفة سلوكاً ثابتة ومستقرة ومستمرة في الشخصية. يرتبط تطوير هذه السمات وتغييرها وفقًا لنظرية ألبورت، ارتباطًا وثيقًا بالقضايا والعوامل الاجتماعية (شاملو،١٣٧٧ ش:١٤٣-١٤٤) يضع ألبورت السمات في درجة أولى في بناء الشخصية تنقلية ميزاتها. هذه الميزة وتنقلها. بناء الشخصية وتنقلها يعود إلى أن السمات الكائنة في صياغة الشخصية وأيضاً لها بنية تحفيزية وتسبب سلوكاً خاصةً للبشر (سياسي،١٣٧٩ش: ١٤٧-١٤٨). هو يعتقد أن السمات هي أجزاء المكونة الرئيسية للشخصية، يعتقد أن السمات حقيقية وأنها تستند إلى الجهاز العصبي البشري. تعكس هذه السمات الاستعداد العام للشخصية الإنسانية وتقوم بتبرير رد فعله تجاه المواقف المختلفة عبر الزمان (راس،١٣٨٦ش:٨-٩).

حسب ما قلنا، نجد أن الشاعر الإسلامي الكبير في هجائياته يستخدم تقنية السمات لإبراز شخصية المشركين وأعداء الإسلام المبغوضين. بالطبع، يجب أن نقول أنه يعتزم إذلال أعدائه وتحقيرهم وتقليل دوافعهم لمحاربة المسلمين وتقليص كرامتهم ووضعهم الاجتماعي، ويؤظف كل ما تقتضي تقنية السمات. أنه يستخدم السمات التي لم تكن منفورة في تلك الآونة بل هي مبغوضة وسلبية حتى في زمننا الراهن. بهذه الطريقة، يقوم حسان بذمّ المشركين عبر التاريخ، فهو يقوم إلى التفصيل والتفسير في هجائه وجعل توضيحات متنوعة للسمات المنتمية إلى الشخصية. الشاعر، بإسناد واحد أو أكثر من السمات إلى المشركين وأعداء الإسلام، يضع معظم سلوكياتهم بعين الإعتبار ويخبر الجمهور أن الشخص الذي لديه هذه السمة كان لديه هذا السلوك في أوقات وفترات مختلفة من حياته، ومن المتوقع أن يعود إليها في جميع المجالات الأخرى من حياته وخصائصها ليست محدودة زمنيا. والسبب في أن الشاعر ينست سمات إلى جميع المشركين هو أنه كان لديه هذه الصفات طوال حياته في الجاهلية، فهي في حياته الجاهلية كان يستخدم تلك الصفات في مدحه وهجائه وفخره. وكان يفتخر بها تحت الظروف السياسية والاجتماعية الخاصة، في زمنه ضد الأعداء أو كان يهجو الأعداء حسان بواسطة تلك السمات. إذن ينسب الحسان سمات عنها ينكر وفاقهم مع المجتمع حيث يكون وجودهما دون جدوي للآخرين. بعبارة أخرى ذلك الأشخاص مسببين الظروف الإجمتاعية والسياسية السيئة والشاقة، ولهم تأثيرات سلبية على الإجتماع.

في ما يلي نقوم بتحليل أنواع السمات على حسب إطار النظري المحدد لجوردن ألبورت في هجائيات حسان.

١ـ٤. السمات المشتركة الموضوعية

أولبورت قدم نوعين من السمات. السمات الفردية والسمات المشتركة. السمات الفردية هي تخص بالفرد وتميز الفرد من سائر الأفراد ويصف سلوكه الشخصية. الصفات المشتركة هي سمات يشاركها بعض الأفراد مثل أفراد الثقافة الخاصة والمتعلقة فيها. يبدو أن الأشخاص من ثقافات مختلفة لديهم سمات مختلفة مشتركة. عندما تتغير القواعد والقيم الاجتماعية، تتغير أيضًا السمات المشتركة الشائعة. وهذا يعني أن السمات المشتركة تعرض للتأثيرات الاجتماعية والبيئية والثقافية (محمدي،١٣٩٥ش:١٧٠). السمات المشتركة إحدي آليات المحلل النفسي ومنظر الشخصية في حقل دراسة الشخصية ويعتمد عليها ألبورت واعياً أنها إحدي من المؤثرات الأساسية في تكوين الشخصية.

لقد ذكر حسان الشاعر عبر هجائياته سمات يشترك فيها جميع المشركين وأعداء الإسلام وهي شائعة بينهم، ينتمي كل واحد من الأعداء إلى تلك السمات. يمكن القول إنه بصفته شاعرًا ملتزمًا لتقديم مهجوه ولإقناع الجمهور، فقد كان مجبرًا على توظيف هذه السمات. لأن قبول واستيعاب مجموعة من السمات والسمات السلبية في فن الهجاء بحاجة ماسة إلى أمثلة متعددة ليستعد الشاعرُ الجمهور على قبول تلك السمات السلبية المشتركة. لذلك نرى أن حسان قد استخدم كل من السمات المشتركة والعامة في قصائده، ويضعها في ثنايا هجائياته، هو بيّن السمات المشتركة بين القبائل في بعض قصائده المحددة. يدرك الناس هذه السمات وهم لا ينكرون ذلك. لأنها اُختيرت وفقاً على أساس معرفتهم وثقافتهم. من بين القصائد التي تعبر الشاعر عن القواسم المشتركة هي قصيدة في هجاء قبيلة "هذيل"، التي تمنحهم الشاعر سمات المكر والخيانة.

فُـــلا واللهِ مـــا تَعـــدي هُـــذيل ... أمَحـــضٌ مـــاءُ زَمـــزمَ أم مَشُـــوبُ

وَمـــا لَهُـــم إنَ اعتُمـــروا وَحَجّـــوا ... مِـــنَ الحَجَـــرينِ و المسَـــعي نصـــيبُ

ولكـــنَّ الرَّجيـــعَ لَهُـــم مَحَـــلٌّ ... بـــه اللـــومُ المـــبينَ و العُيـــوبُ

هُـــمُ غَـــرّوا بذِمَّتِـــهِم خُبيبـــاً فَبِـــئسَ العَهـــدُ عَهـــدُهُمُ الكـــذَوبُ

(حسان،١٤٢٧: ٣٩)

كما نجد الشاعر في الأشعار المذكورة يعتبر الشاعر جميع القبائل بما عاشت في البيئة الواحدة تمتلك هذه الصفات المشتركة. فهذه السمات فطرية لديهم تطور وفقاً للبيئة. يشير حسان من خلال توظيف السمات المشتركة إلى أنه يكون لديهم تاريخ طويل وخلفية طويلة، لذلك نجد أنه في بعض الأبيات الأخرى يركز بشكل كبير على السمات السلبية المتعددة في هجائه عن القبائل المعادية. فهو في هجاء عمر بن هصيص وعمر بن العاص يقول:

هـــذرٌ، مشـــائيمٌ، محـــرومٌ ثـــويهم ذا تـــــروحُ مِنـــــهم زُودَ القَمـــــرا

كَـم مِـن كَـريمٍ بَعـضَ الكَلـبِ مُئـزره ثُـــم يَفَـــر اِذا أَلقَمتـــه الحَجَـــرا

لـــو لا الـــنَبي، و قَـــولُ الحَـــق مُعصـــبج لمـــا تَركـــتَ لَكـــم أُنثـــي وَ لا ذَكـــرا

(حسان،١٤٢٧: ٦٨)

حسن يعتبرهم إنسانا متشائم وبخيلاً وليس للضيف على مائدتهم مكانة، فهم لا يعرفون مكانة الأشخاص النبلاء. الشاعر ركزّ على صفة يفتخر بها العرب أجمعين فهو تكريم الضيف، والنار مشتعلة دائماً على قنة قبيليتهم ليأوي إليها الجائع والمتشرّد. لكن الشاعر ينفي هذه السمة الشائعة من المهجو. كما نجد حسان يعتبر كل أشخاص قبيلة بني حماس مهيناً ومنحطاً في المقطع التالي.

قـــومٌ لئـــامٌ أقـــلّ اللهَ عِـــدَّتَهم كمـــا تَسَـــاقَطَ حَـــولَ الفَتحـــة البَعُـــر

(حسان، ٢٠٠٨، ٢٣١)

الشاعر عبر استخدام كلمات نكرة في قالب الجملة الإسمية التي تدل على الثبوت والتقرير يشير إلى تأصيل هذه السمات السلبية لديهم. يقول ألبورت، أن كل هذه السمات هي سمات عامة يشاركها عدد من الأفراد، مثل أعضاء مجموعة أو أعضاء ثقافة. توفر السمات العامة أداة طيعة يمكن أن نقارن بين الأفراد المختلفة في ثقافية معينة بمساعدة تلك الأداة. النكتة الهامة هي أن السمات السلبية العامة والشائعة من خلال تغيير الأعراف والقيم الاجتماعية في أي مجموعة أو ثقافة، ستتغير أيضاً (فيست، ١٣٩٥ش:٤٩٦). لكن

قبائل العرب ما تغيّروا بل ابتقوا على أعرافهم القديمة، لأجل هذا غضب حسان. فنحن نعرف كان من بين أعداء الإسلام هو اليهود، الذين انخرطوا في العداء مع المسلمين مع المشركين وعرقلوا تجاه الإسلام، حسان استهجنهم وعذلهم، يهجوهم لفلشلهم في حرب الخيبر تجاه المسلمين. (عكاشه، ١٤٢٧: ١٧٦)

هكذا:

بِئسَ ما قالَت خَيا برُعما جَمعوا مِن مَزارعٍ ونخيلِ

كرهوا الموت فاستبيع حِماهُم وأقَرّوا فِعلَ اللئيم الذَّليلَ

أمِن الموتِ تهرُبُون فإن ال موتَ موتُ الهُزَال غير جميلِ

(حسان،١٤٢٧: ٤٦)

حسان يُعرب عن خوفه من موت الشعب اليهودي وبما أنهم من الأدنياء وأن لهؤلاء الناس موت قبيح ومروع أي قد ماتوا بشعا. هو ينتمي إلى اليهود صفتين الخوف والدنائة. هذه هي ما أدرك ألبورت بما في كل ثقافة من ثقافات، سمات و خصائص مشتركة. الأشخاص الذين يشكلون جزءاً من ثقافتهم وبالتالي يتم التعرف عليهم وتسميتهم بأسمائهم على حسب تلك الثقافة ينتمون إلى تلك السمات العامة.(آتش پور،١٣٩٢ش:٢٢١). فالحسان وضع يديه ولسانه في ومضات مختلفة من هجائه على هذه السمات المشتركة الشائعة وهو من حيث دراسة الشخصية تحتوي على هذا القسم الهام من سمات الشخصية كما يرافق تناوله بهذه السمات نظرته إلى نظرية ألبورت.

٢ـ ٤. الصفات الشخصية الذاتية

كما ذكرنا، يميز ألبورت بين السمات المشتركة للأفراد وسماتهم الفردية أو الذاتية. هذا لا يعني أن هناك نوعين مختلفين من السمات، ولكن فقط يمكن أن نعتبر نفس نظرية السمات على أساس منطلقين مختلفين: فهي المشتركة والذاتية. ((عندما نسمي السمات كسمات شائعة، فإننا نعني أنه يمكننا مقارنة شخص واحد على ضوء هذه السمات أو بإستخدامه، أي مجموعة تمتلك نفس السمات التي امتلكتها المجموعة الثانية. تشير السمات الفردية إلى السمات الفريدة لهذا الشخص والخاصة به. السمات الفردية هي سمات لا يمكن مقارنتها

بشخص آخر أو بمجموعة أخرى)) (راس، ١٣٨٦ش: ١٥٥)، فهي على حسب ما يقول ألبورت على ثلاثة أقسام: السمات الرئيسية، السمات المركزية، السمات الفرعية أو الثانوية.

السمات الرئيسية قليلة ولكنها عميقة جداً وذات جذور قوية وتحكم على سماتنا وعواطفنا وانفعالتنا الأخرى. العديد من الأنشطة البشرية تنبعث بصورة مباشرة أو غير مباشرة من هذه الصفات. لا يمكن أن تظل هذه السمات مخفية لفترة من الوقت. يتم التعرف على الأشخاص بواسطة هذه السمات، وفي بعض الأحيان نجد الشخص يكون معروفاً من قبل هذه السمات. منهم ومن المرجح أن تكون معروفة من قبلهم (سياسي،١٣٧٩ش:١٥١). يمكن اعتبار الضلال من خلال الدين والبقاء في الشرك والكفر واحدة من السمات الرئيسية المتسجدة في هجاء حسان. والشاعر يجعل هذه السمية كركيزة أساسية في توصيف كثير من الأعداء. هو يقول في وصف المشتركين وهجائهم هكذا:

وَهَـل يستَوي ضُـلاّلُ قَـومٍ تَسَـفّهوا عَمـي وَهُـداةٌ يهتَهـدونَ بمُهتـد

(حسان: ٢٠٠٤: ٩٠)

في هذا البيت، هو يذم المشركين ويعذّلهم بما أنهم ابتعدوا عن التوحيد والهداية والرحمة الإلهية وظلوا في بؤسهم وجهلهم. هم الذين لم يعتنقوا الإسلام، هذا الدين المبنين والصراط المستقيم الذي يهدي كل جاهل؛ لكن هؤلاء يسيرون في أشد الجهل والخسران ولايفهمون ميزة الدين الجديد والهداية السماوية. يسعى حسان في سبيل تبرير أو إقناع الجهمور أن يذكر أسلاف مهجوه، هو حسب ثقافة عصره التي يسعي أن نتعرف الإنسان على حسب سلفه ونسبه، يفتش عن أسلاف المهجويين. واستخدم هذه السمة في هجائه كالمعيار الأساسي ويقدّم الوراثة في تأكيد سمات المهجو كأهم عامل في الهجاء. على سبيل المثال هو ينشد حول نسب المهجو وعدد قبيلته القليل هكذا:

مـاكثرَت بنـو اُسَـد فَتخشـى لِكثرتهـا و لا طـاب القليـلُ

قَبيلـة تُذَبـذب في مَعَـدٍّ اُنـوفهم أذَلُّ مـن السـبيلِ

تَمَنَّـي أن تكـونَ مِـن قـويش تشـبهُ البَغـلِ شَـبه بالصَـهيلِ

لقد اعتبر الشاعر العدد القليل عيباً على المهجو، وهو يرغب أن يفشل ذلك القليلون في مسيرتهم، على رغم لايخاف الشاعر وأنصاره من هذا القبلية بعددها القليل. على حسب

ما يقول الشاعر، ليس لديهم أسلاف محتدون ذو عراقة وأصالة، إذن يرغبون في أن ينتموا أنفسهم إلى قريش ويشبهون الحمار الذي يريد أن يشبه صوته بصوت الحصان.

أما القسم الثاني من هذه السمات الذاتية هو السمات المركزية التي جعلها ألبورت إحدي أقسام السفات في تصنيفه فهذا النوع هو الذي يعتمد عليها حسان في بعض هجائياته. السمات المركزية ((حجر الأساس في بحث الشخصية وهي وسيلة لتعرف البشر. لايعتبر آلبورت تعداد هذه السمات أكثر من خمس أو ست أي يعتقد أنها لاتتجاوز عن خمس أو ست (سياسي، ١٣٧٩ش:١٥٥). أسلوب حسان في أكثر هجائياته، هو أنه لا يعترض الدين والإعتقاد والعقائد في معظم قصائده ولايعتبر دين المهجو عيباً لهم أو لايجعل هذه المؤشرة من مؤشرات هجائه. بدلاً من ذلك، فهو يتعامل مع القضايا التي اعتبرها الجاهليون العرب عيباً ومنقصة. مثل الهرب من الحرب، الخوف، البخل، الدناءة، المكر والخداع، بعبارة أخرى هو يستخدم في هجائه السمات المركزية العديدة. فهو يقول في هجاء حارث بن هشام:

تـــرك الأحِبَّـــه أن يقاتِـــلُ دونهـــم ... وَنَجَـــا بـــرأسِ طِمـــرِّهُ ولِجَـــامِ

وبَنـــو أبيـــه ورهطُـــهُ في معـــرك ... نَصَـــرَ الإلـــهُ بـــه ذوي الإســـلامِ

لـــولا الإلـــهُ وَجَريهَـــا لَتَركنَـــه ... جَـــزَرَ الشـــباعُ و دُســـنَهُ بحـــوامي

(انصاري، ٢٠٠٨، ٢٣١)

كما يقول في هجاء عبدالله بن ربعري:

خبيثـــاً تُطيـــفَ بـــك المنـــدياتُ ... مقيمـــاًعلي اللـــومِ حينـــاً فحينـــاً

تَبحَســـتَ تهجـــد رســـول الملـــي ... ك قاتلـــك الله جلفـــا لعينـــا

تقـــول الخَنـــا ثُـــم تَرمـــي بِـــه ... نقَـــي الثيـــابِ تقيـــاً أمينـــا

(ديوان: ١٠٤)

يصف حسان عبد ابن الزبعري بأنه رجل دنيئ ومنحط ومنافق. وركز في هذه الهجائيتن على سماتهم المركزية؛ السمات المألوفة التي يعرفها الجاهليون يعتبره مذلة ونقصاناً. فالشاعر لايتجاوز عن دائرة معرفهم ويهجوهم على حسب اعتقادهم وأعرافهم.

كما نجد الشاعر يلحّ على هجاء أكبر أعداء رسول الله، واحد منهم أبو جهل، الذي أعدي رسول الله بحقد كثير وعداء أعمي. يقول حسان في هجائه معتمداً على تشريح سماته المركزية:

لقَـد لَعَـن الـرحمنَ جمعـاً يقـودهم ... دَعِـي بـني شـجع لِحَـربِ مُحَمَّـدِ
مَشـومٌ لعـينٌ كـان قـدماً مبغضـاً ... يـبَينُ فيـه اللـؤم مـن كـان يهتـدي
فـدلاً هـم في الفـي حـتى تهـافَتوا ... وكـانَ مُضِـلاً أمـرُه غـيرَ مُرشِـد
فـأنزَلَ ربّـي للـنبي جُنـوده ... وأيـده بالنّصـرِ فِـي كـلَّ مَشـهدِ
وانَّ ثـواب اللهِ كـل موحِّـدٍ ... جنـانٌ مِـنَ الفـردوسِ فيهـا يخلَـدُ

(نورالدين، ٢٠٠٠: ٢٠٥)

حسان يعطيه سمات ردئية ويقول هو مشؤوم، ملعون، حاقد، بخيل، مضل، أي هو يظهر شخصية أبوسفيان بخمس سمات مركزية على حسب نظرية آلبورت. أي السمات التي يؤكد عليها الشاعر تدخل ضمن مشروع السمات المركزية لألبورت فهي حجة لتستند تحالينا حول هجائيات الشاعر. هو أيضاً هجا ربيعة بن حارث بن عبدالمطلب وأخاه نوفل بن حارف ويقول:

اَبلِـغ ربيعَـةَ وابـنَ أمَّـه نَـوفَلا ... اَنّـي مُصـيبُ العَظـمَ إن لَـم أصـفَح
إنَّ الخيانَـةَ والمَغالَـةَ والخَنَـا ... واللـؤمَ أصـبَحَ ثاويـا بـالأبطحِ
قَـومٌ إذا نَطَـقُ الخَنَـا نـادِيهُم ... ثُبِـعَ الخَنَـا وَ أضـيعُ أمـرُ المصـلحِ

في الإبيات المذكورة نجد حسان، يعرض لمهجو بصفات سلبية مركزية عديدة مثل الخداع والضعف والدمار، والخوف والإزدراء، والبخل، والنفاق،، وهذه الكلمات والصفات أصبحت أكثر انتشارا في حروب تلك الحقبة (زبيدي، ٢٠١٤، ص ١١٧) من المهم أن نعرف أن قصائد حسان كانت في الأصل مدرجة ضمن أسماء الصحابة وشهداء غزوات وغزوات مع الأعداء وحروب الإسلام، وفي الواقع كان يعتبر مؤسس الشعر التاريخي للإسلام (محمدي، ١٣٤٩: ٥٠). فهو بتركيز هذه السمات ينقل خصائص أعداء المسلمين ليتمتع بها المؤرخين في تعريفهم على هذه الشخصيات. حسان يهجو حارث بن كعب

مجاشعيي هجاءً لاذعاً مريراً. يعتبره الشاعر إلى البهائم أو البغل الذي لايفهم شيء، ويستشهد سلكوه السيئة ومرارته في العيش تبريراً لهذا التشبيه:

لا بأسَ بالقومِ مِن طولٍ و مِن عَظِمٍ جِسمُ البغَالِ وأحلامُ العصافير

(حسان، ٢٠٠٤، ٢٩٧)

في الأبيات المذكورة يقدم الشاعر صفة المهجو الغباءة والحمق بالسمات الحيوانية. دون شك، فإن القصيدة التي كان يشندها الشاعر في هجاء المشركين تشير إلى جميع أصحابها ورفاقهم لم تحدد على الحيوانات فحسب، لأن هذا الموضوع أبعد من كلام العرب، لعلّ يتناول بها العرب عبر إشارات عابرة وسريعة (ابويحيي، ١٩٩٧: ٢١٣). لكن مع مرور الوقت، أصبح حسان متأثراً بالإسلام، وابتعد هجائه عن الروح القبلية واقترب إلى أفق الدين؛ إذن كما نجد تشبيه المشركين والضالين في القران بالحيوانات، شبّه حسان أعداء الإسلام خلافاً على الأعراف الجاهلية إلى الحيوانات. مثلما نجد يقول الله: مَثَلُ الذينَ حُمِّلوا التّوراةَ ثُمَّ لَمْ يحْمِلوهَا كمَثَلِ الحِمارِ يحمِلُ اسفاراً، إذن ساد هذا النوع من الهجاء في الهجاء الإسلامي والحسان على سبيل تأثره من هذه الدين القويم يقتبس بعض مبادئ هجائياته على حسب المشروع القراني. على سبيل المثال، هو هجا أباجهل وأعرب عن شكوكه بشأن أسلافه ثم أشار إلى تحريض أبي جهل على قتل النبي ﷺ، وأبدى إصراره الردئ على التضليل والخداع والبقاء في أخطائه وأن يتبعه العرب تباعاً خطأ (طليمات، أشقر: ٣٢). يقول حسان في هجاءه هذا الشعر:

لَقَد لَعَن الرَّحمنُ جمعاً يقودهم دعي بني شجع لحرب محمد

مشوم لعين كان قدماً مبغّضاً يبَين فيه اللوم من كان يهتدي

فدلاهم في الغي حتى تهافتوا وكان مضلاً أمره غير مَرشدِ

(حسان،١٤٢٧: ٣٤٢)

في حرب الخندق نجا عكرمة بن أبي جهل نفسه من الحرب وهرب، وبالتالي قال حسان بن ثابت في هجائه قطعة كانت أكثر حدة من حافة الشيف وأكثر اختراقاً من حافة الرمح. حسان أظهر في شعره خوف عكرمة وضعفه تجاه ثقل سلاحه في ساحة المعركة، ثم قدم صورة مثيرة للسخرية عنه، وشبّهه الشاعر إلى جملاً حائراً تارة وأيضاً إلى عجل خائف

الذي يهرب من المعركة.

فَقَـــــرَّ، وألقـــــي لنـــــا رمحـــــه ... لتلـــــك عكـــــرم لم تفعـــــلِ

ووليـــــت تعـــــدو كعـــــدو الظلـــــي ... م مـــــا أن تجـــــور عـــــن المَعـــــدلِ

ولم تلـــــق ظهـــــرك مستأنســـــاً ... كـــــأن قفـــــاك قفـــــا قُرعُـــــل

(طليمات، أشقر، ١٤٢٨:٢٢٦)

يشير حسن في هجائياته وفكاهياته الساخرة إلى ثلاث حتى خمس و ست سمات مركزية، يبيّن ويقدم بعضها في بيت واحد ويبيّن بعضها الأخر في بضع أبيات. هو أيضاً يعتقد كجورودن آلبورت وقد أظهر عمليا هذا الإعتقاد السمات الرئيسية وأيضاً السمات المركزية ليست بأكثر من خمس أو ست سمات ولاتتجاوز عن هذا الحدود. على الرغم من أن المفضتيات الشعرية يجبر الشاعر توضيحها عبر عدة الأبيات أو يقدمها خلال سمات حيوانية لكن المحتوي والتعبير الرئيسي لايتجاوز عن خمس أو ست سمات، فالقصيدة تدور على رغم من طولها على بضعة من السمات. إذن تم تقديم شخصيات المشركين المنفورين والمبغوضين بأحسن وجه عبر هذه السمات إلى المتلقئ والجمهور.

أما القسم الثالث من السمات الفردية التي تتسم بها الشخاص على حسب تصنيف ألبورت هي الصفات الفرعية أي ((السمات التي تظهر بشكل أقل تواتراً في القصيدة، ولها أقل تأثيراً على السلوك البشري. قد يكون الشخص نفسه واعياً على كونه، لكن هذه السمات غير مكشوفة بشكل صريح للآخرين، وللتعرف منها يجب أن يقيّم الشخخص بشكل دقيق (سياسي، ١٣٧٩ش:١٥١). في إحدي من هجائياته الإسلامية، يتهجم حسان بني حماس بفظاعة ولعنة ويهجوهم على أسلوب لاذع، مؤلم للغاية. في هذه القصيدة، كان حسان خرج عن الإطار الإسلامي المحدد تماماً ويستخدم تعابير وكلمات بمنأي عن الكرامة والحقيقة الإنسانية. فهو يقول:

كـــأن ريحَهُـــمُ فـي النـــاس إذ بَـــرزوا ... ريـــحُ الكـــلابَ إذا مابَلَّهَـــا المَطَـــرُ

أولادُ حـــامٍ فَلَـــن تَلقّـــي لَهُـــم شَـــبَهَا ... الا التيـــوسَ علـــى أكتافِهَـــا الشَعـــرُ

(انصاري، ٢٠٠٨، ٢٣١)

يشير حسان إلى السمات الفرعية، السمات غير الفعالة وغير ديناميكية في التعرف على شخصية الأشخاص وظهور سلوكه الشخصية، هو يشير في هذا النوع من القصائد إلى رائحتهم الرديئة ويقدم صورتهم على شكل وعول يعيشون في قنة الجبل. يمكن القول أنه لم يشير في قصائده إلى صفات المهجويين الثانوية والفرعية إلا على ندور. لأنه استخدم الصفات والسمات الإصلية والمركزية لجلّ إهانة المشركين أوعداء الإسلام وتصويرهم في صورة بشاعة، ليصل إلى إقناع الجمهور وتبريرهم بسرعة. في الواقع، ليست هناك حاجة لسمات فرعية لتحديد الشخصية، على الرغم من أنه قد تكون هناك بعض المؤشرات مثل الأبيات المذكورة، لكن هذه الشواهد قليلة للغاية.

٤-٣. الوراثة أو التوريث

غوردون ألبورت، يعرف هذا الموضوع بشكل جيّد ويعتبر الوراثة والبيئة جزءاً من شخصية الناس. هو يقول أننا "ننعكس تراثنا وبيئتنا". توفر الوراثة المادة الخام للشخصية، سواء كانت جسدية أو ذكاء أو مزاج أو الأخلاق، وهي التي قد تشكل ظروف بيئتنا أو تمددها أو تقيدها. ومع ذلك، فإن خلفيتنا الوراثية مسؤولة عن الكثير من اختلافنا وتمايزنا مع البواقي (فيست، ١٣٩٥ش: ٤٥١). هذه السمات الوراثية يتشكل قسماً ثالثاً هاماً في مشروع ألبورت، فهنا يهمّنا أن نحلل هذه السمة في قصائد شاعر النبي ﷺ.

يشير حسان خلال ابيات إلى قضية توريث السمات، والسبب في هذه السمات البغيضة والمكروهة التي تتسم بها الشخصية المهجو يعود إلى الوراثة. ربما يظهر حسان الوراثة بشكل جلي وقوي لتعميق جذور هذه العيوب، على سبيل المثال، يقول في الأبيات التالية:

نالت قريش ذُري العَلياء فانخَشت ... بنو المُغيره عَن مَجدِ اللّهاميمِ

وافتخروا بأمورٍ أهلها نَفرُ ... أحسابُهُم مِن قُصَي في الغَلاصيمِ

بَندوَةٍ مِن قُصَي كان ورّثها ... وَبلا للواءِ وحُجّاب قماميمِ

مِن جَوهرٍ مِن قريشٍ فالتَمس بدلا ... مِنهُم معانيقُ في الهَيجاءِ مقاديم

وَاترُك مآثَر قومٍ في بُيوتِهم ... وافخَر بِمَكرُمةٍ في بَيتِ مخزوم

بنو مغيره فُحسَ في نَديّهم ... توارثِوا الجَهلَ بَعدَ الكفرِ واللئوم

(حسان، ٢٠٠٤، ٢٣١)

لقد أهان الشاعر بني مغيرة لفشلهم في تحقيق العظمة وعدم وصولهم إلى المجد والكبرياء، ويحقرهم ويذلهم، ويقارنهم بالقريش الذين كانوا فائزين في سبيل المجد والإفتخار. الذي يمتلك بيت الله وزعامته. ولديه الشجاعة والكرامة والأصالة. ثم يهجو بني مغيرة، الذين يتم تبادل اللعن واللغو في دوائرهم وتجمعاته وجمعياتهم، هم الذين يرثون الجهل بعد الكفر والإذلال على حسب رؤية الشاعر، يعتبرهم الشاعر سليطين اللسان والجاهلين؛ فهم الذين يرثون الجهل والحقارة والدناءة لاتتحول مادة هذه السمات لديهم على الإطلاق. إن تشترك هذه السمات المنسوبة إلى المهجو وقبائله مع السمات المشتركة والأساسية وإلخ لكن هنا الشاعر يشيرة إلى مبدأ التوريث. أي أن المهجو يتمكن من هذه السمات على حسب فطرته ووراثته المنتمية إليها.

على سبيل المثال إحدى هجائيات الشاعر تدور حول أبي بن خلف جمحي، الذي أتي عند النبي ﷺ بعظام بالية وقال له: هل تعتقد أن ربك يحيي الموتى؟ فمن الذي يعطي هذا العظام البالي الحياة؟

لَقَـــد ورثَ الضـــلالَةَ عَـــن أبيـــه ... أبي يـــوم فارقَـــهُ الرســـولُ

أجئـــتَ محمـــداً عَظمـــاً رَميمـــاً ... لتكذبُـــه و أنـــت بـــه جهـــولُ

رَقـــد نالَـــت بَنـــو النجَّـــارِ مـــنكم ... أميـــةَ إذيغـــوَّثُ يـــا عقيـــلُ

وَثَـــبَّ ابنـــا ربيعـــهُ إذا أطاعـــا ... أباجهـــل لأمهمـــا الهَبـــولُ

(حسان، ٢٠٠٨، ٢١١)

حسان يتسم هذه العملية إلى صفته الضلال ويعتبر هذه الصفة وراثية لديه. الشاعر، في هجاء آخر، يهجو زهير بن أغر وحبيب بن عدي، ويستهدف إلى خداع شعبهم كما يستهدف بني هذيل بسبب خداعهم أيضاً والخيانة ويذلهم إذلالاً، ويعيدها إلى الوراثية ويعتقد أنها شيء موروثياً عندهم لا يتغير أبداً. فهذه السمات هي التي يرث الإبن من الأب وهلمّ جراً ومن علاماتهم خيانة الجيران، وميلهم إلى الدعارة والفساد. جعلهم الشاعر أقل دوناً من الكلاب والقرود، ويفضّل الماعز عليهم من حيث الفضل والكرامة. (طليمات، أشقر، ١٤٢٨:٢٢٧).

إن سَـرّكَ الغـدُر صَـرفاً لا مـزاجَ لـه ... فـأتِ الرجيـع فسَـل عَـن دار لحيـان

قَـومٌ تواصَـوا بأكـلِ الجـار بَينـهم ... فالكلـبُ و القِـردُ والإنسـانُ مـثلان

لَـو ينطِـقُ التـيسُ يومـاً، قـام يخطِـبُهُم ... وكـانَ ذاشَـرفٍ فـيهم و ذالشـأن

(حسان، ٢٠٠٤:٨٧)

كما نجد الشاعر اتسم إلى المهجو هذه السمات ويقصد أنها أبدية لديه، ولاتتحول كينونة المهجو المتسم بهذا السمات إلى السمات الحسنة. فهو بواسطة تعبير "لامزاج له" يشيرة إلى توريث هذه السمات وعدم تحوله.

٥. النتيجة

حسان هو أحد الشعراء المخضرمين، وهو في عهد الرسول ﷺ، مع بداية الغزوات الإسلامية وتبادل الهجاء بين الشعراء المسلمين والمشركين بدأ بلعن المشركين وهجائهم بإذن النبي ﷺ. وعبّر عن قيم ومعايير الكراهية للإنسان البغيض والمهجو العنيد والتائه في قالب الأشعار والقصائد. هو بالتعبير عن سمات وخصائص المشركين يقوم إلى دراسة شخصية المشركين بعناية خاصة. أسلوب الشاعر في هجاء الأعداء وفقاً على إنجازات نفسانية في علم النفس قريب جداً إلى نظرية التحليل النفسي للنظر الأمريكي الشهير جوردون ألبورت في القرن العشرين. كما يعتقد ألبورت، يجب أن يكون المرء مدركًا لسمات الشخص من أجل معرفة شخصيته، حسان يقدم الشخصية الحقيقة للجمهور عبر بيان الصفات السلبية والقبيحة التي يستم بها المشركين. من خلال مطابقة السمات المعبرة عنها في هجائيات حسان الإسلامية ونظرية جوردون ألبورت، يجب أن نقول أن هذه الهجائيات ليست مجرد قصائد لاستجابة وإذلال العدو، بل إنما هي شخصية الفرد أو الأفراد المنطوية ضمنها، فهي تتماشي مع السيكولوجية النفسية في القرن العشرين. الصفات المذكورة في هجائيات الشاعر تندرج في تصنيف سمات جوردون ألبورت. وفقًا لنظرية جوردون أولبورت، يستخدم حسان السمات المشتركة والفردية في عواطفه، ومعظم صفاته المتسخدم تدخل حق الصفات المركزية وإن هو لم يغفل عن السمات الأصلية والثانوية. يمكن رؤية نظرية الوراثة لألبورت بوضوح في هجائيات الشاعر الإسلامي، حيث يشير الشاعر إلى ذلك في تقرير الصفات وتأكيدها. أخيراً، يمكن القول أنه بعد مرور ١٤ قرن، يشبه أسلوب حسان في دراسة

الشخصية إلى أسلوب العالم النفسي في القرن العشرين الذي وضعها ألبورت، وقدم تم تحليل تلك القصائد والهجائيات في هذه الدراسة.

قائمة المراجع والمصادر

- ابن سلام الجمحي، محمد، طبقات الشعراء، مطبعه بريل، بيروت، ١٩١٦م.
- ابن قتيبه، ابو محمد، الشعر و الشعراء، دار الثقافة، بيروت، ط، الثانية، ١٩٦٩م.
- ابو يحيي، احمد اسماعيل، الخيل في القصائد الجاهليين و الاسلاميين، مكتبه العصريه، بيروت، ١٤١٧.١٩٩٧.
- اصفهاني، ابوالفرج، الاغاني، بيروت، مؤسسة الاعلى للمطبوعات، ١٤٢٠.
- ايجلتون، تري، ١٣٦٨ش، پيش درآمدي بر نظريه ادب، ترجمه عباس مخبر، تهران، شركت نشر مركز.
- آتش بور، سيد حميد، خياطان، فلور، ١٣٩٢ش، ويراستار كاظمي، احسان، نظريه هاي شخصيت، خوراسگان، دانشگاه آزاد اسلامي.
- بادشا، م، فرهنگ جامع فارسي(آنندراج)١٣٦٣، تهران انتشارات خيام.
- بشيري، ابوالقاسم، حيدري، مجتبي، ١٣٩٦ش، روانشناسي شخصيت نظريه هاي شخصيت با نگرش به منابع ديني، قم، انتشارات موسسه آموزشي و پژوهشي امام خميني (ره).
- بروين، لارنس، جان، اليور، ١٣٩٥ش، شخصيت(نظريه و پژوهش)، مترجم ؛جوادي، محمد جعفر، كديور، پروين، تهران، آييژ.
- حسان بن ثابت، برقوقي، م..، شرح ديوان حسان بن ثابت، بيروت، دار الكتاب العربي، ١٤٢٧.
- دوان، شولتز، سيدني، آلن شولتس، ١٣٧٥ش، تاريخ روانشناسي نوين، مترجم :سياسي، علي اكبر، تهران، دوران.
- دوان، شولتز، سيدني، آلن شولتس، ١٣٨٧ش، نظريه هاي شخصيت، ترجمه يحيي سيد محمدي، تهران، ويرايش.
- ذهبي، محمد، تاريخ الاسلام، قاهره، ١٣٦٨ ق.
- راس، آلن، ١٣٨٦ش، روانشناسي شخصيت (نظريه ها و فرايند ها)، مترجم ؛جمال فر، سياوش، تهران، روان.

- رايكمن، ريچارد، ١٣٩٤ش، نظريه هاي شخصيت، مترجم، فيروزبخت، مهرداد، تهران، نشرارسباران.
- زبيدي، نضال احمد باقر، شعر المخضرمات في الجاهليه و الاسلام، بغداد، مجمع العلمي، ١٤٣١.
- زرين كوب، عبدالحسين، ١٣٨٨ش، آشنايي با نقد ادبي، تهران، انتشارات سخن.
- سياسي، علي اكبر، ١٣٧٩ش، نظريه هاي شخصيت، تهران، انتشارات دانشگاه تهران.
- شاملو، سعيد، ١٣٧٧ ش، مكتب‌ها و نظريه‌ها در روان‌شناسي شخصيت، تهران، انتشارات رشد.
- طليمات، غازي و عرفان الاشقر، الشعراء في عصر النبوه و الخلافه الراشده، دارالفكر، دمشق، ط . الاولي، ١٤٢٨ق.
- عكاشه، محمود، الشعر في عصر النبوه، قاهره، دارالمعرفه، ١٤٢٧.
- عيلان، عمر، ٢٠١٠م، النقد العربي الجديد، بيروت، الدارالعربيه للعلوم،
- فرزاد، عبدالحسين، ١٣٨٨ش، درباره نقد ادبي، تهران، نشر قطره.
- فيست، جس، جي، گريگوري، فيست، تامي، آن، رابرتس، ١٣٩٥ش، نظريه هاي شخصيت، ترجمه :سيد محمدي، يحيي، تهران، نشر روان.
- كاسب، ع، چشم انداز تاريخي هجو، تهران، انتشارات تابش، ١٣٦٦ ش.
- گنجي، حمزه، گنجي، مهدي، ١٣٩١ش، نظريه هاي شخصيت، تهران، نشرساوالان.
- محمدي عليرضا، فارسي نژاد معصومه، ١٣٩٥ش، نظريه هاي شخصيت، تهران، فرهنگ.
- مروه، محمدرضا، ١٤١١م، الفرزدق حياته و شعره، بيروت، دارالكتب العلميه.
- مشهدي فراهاني، ملكه، افروز، غلامعلي، ١٣٩٦ش، چكيده روانشناسي شخصيت (جنبه هاي روانشناسي شخصيت)، تهران، وانيا.
- معين، محمد، فرهنگ فارسي، تهران انتشارات امير كبير، ١٣٧٥ ش
- موسي، علي انور عبدالحميد، ٢٠١١م، علم و نفس، بيروت، دار و نهضت العربيه.
- ميرصادقي، جمال، ١٣٧٦ش، عناصر داستان، تهران، انتشارات سخن.
- نورالدين، حسن، موسوعه امراء الشعر العربي، بيروت، مطابع الناشر، ٢٠٠٠م.